

العنف ضد المرأة المفهوم والدلالات النظرية

أ/ لبرادة هالة
جامعة خنشلة

الملخص:

إثر اطلاعنا على ظاهرة العنف ضد المرأة وجدنا أن هناك اختلاف وتباين في تعريف العنف ولعل هذا يعود إلى الزوايا المتعددة التي يمكن أن ينظر إلى هذا المفهوم من خلالها كونه يحمل عدة أشكال وصور ويختلف استخدامه من علم إلى آخر حسب الدراسات والبحوث والتعاريف الإجرائية فقد يكون ماديا كالضرب والإحراق بالأذى بالجسد حتى الموت وقد يكون معنويا كزرع الخوف والرعب أو الإهانة، وقد يكون بالإذاء عن طريق الكلام الجارح ومنه ما يكون فردي أي موجه تجاه فرد أو صادر عن فرد واحد، وقد يكون جماعي أي أن يصدر عن جماعة أو موجه ضد جماعة.

إن مفهوم العنف الذي نخصه بالدراسة في مقامنا هذا يشير إلى كل سلوك يشوبه اعتداء جسدي كالضرب، القتل، القهر الجنسي أو اعتداء نفسي معنوي كاللوم، الإهانة، التجريح، الهجر وفي موضوعنا هذا سنركز الاهتمام على العنف الزوجي وإساءته ضد زوجته هذه الأخيرة التي تكون ضحية كل سلوك لا مشروع مرتبط بكل معان القسوة والإيذاء بحيث تستسلم لزوجها فيسلب حريتها ويحاول في كل مرة يمارس فيها هذا السلوك أن يجعلها تابعة له ليثبت أنه قوام عليها لذلك فهي مرغمة على أن تخضع لإرادته وتتنازل عن كل حقوقها لترضي حاجاته.

الكلمات المفتاحية: العنف، المرأة، الأسرة، العنف الأسري

Résumé

After we learned about this phenomenon, we found that there is a difference and variation in the definition of violence. This may be due to the multiple angles in which this concept can be seen as carrying various forms and images and the different use of one science to another according to studies, research and procedural definitions may be material such as hitting and harming The body may be mortal, such as sowing fear, fear or humiliation, and may be hurt by the offensive speech and from it is not individual directed towards an individual or issued by one individual, and may be collective, that is, issued by a group or directed against a group.

The concept of violence that we study in this position refers to every behavior that is physically assaulted, such as beating, murder, sexual coercion or psychological psychological abuse such as blame, humiliation, defamation, abandonment. In this topic we will focus attention on the husband's violence and abuse against his wife, A behavior that is not legitimate and is linked to all the cruelty and victimization, so that she surrenders to her husband and deprives her freedom and tries every time that this behavior is practiced to make him dependent on him to prove that she is the basis of her.

Keywords: violence, women, family, family violence

مقدمة

قال الله تعالى "وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ابْنَيْ آدَمَ بِالْحَقِّ إِذْ قَرَّبَا قُرْبَانًا فَتُقْبِلَ مِنْ أَحَدِهِمَا وَلَمْ يُتَقَبَّلْ مِنَ الْآخَرِ قَالَ لَأَقْتُلَنَّكَ قَالَ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ {27} لَئِنْ بَسَطْتَ إِلَيَّ يَدَكَ لِتَقْتُلَنِي مَا أَنَا بِبَاسِطٍ يَدِيَ إِلَيْكَ لَأَقْتُلَنَّكَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ {28} إِنِّي أُرِيدُ أَنْ نَبُوءَ بِإِثْمِي وَإِثْمِكَ فَتَكُونَ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ وَذَلِكَ جَزَاءُ الظَّالِمِينَ {29}" سورة المائدة

يعتبر العنف ظاهرة عالمية لا تعرف حدودا جغرافية أو حضارية ولا تقتصر على مجتمعات معينة أو طبقات اجتماعية وثقافية دون أخرى وهو من اعقد المشكلات التي تواجهها البشرية وتعاني من تداعياتها الخطيرة على كافة الأصعدة، فقد رافقت هذه الظاهرة الإنسان منذ الأزل. وما يمكن تأكيده في مدن عصر العولمة والتكنولوجيا أن التحولات التي أحدثتها الثورة الصناعية طالت جميع المؤسسات المجتمعية وعلى كافة الأصعدة السياسية الاقتصادية الاجتماعية والثقافية... ومنها نجد الأسرة التي تعتبر جوهر المجتمع ومؤسسته الأولى الأكثر تأثرا وتضررا بسبب هذه التحولات والتي أدت إلى تغيير الأدوار والوظائف بين الرجل والمرأة هذه الأخيرة دفعت بها التغيرات التكنولوجية إلى الخروج بحثا عن العمل بعيدا عن أسرتها أمله في تحقيق استقلال اقتصادي عن زوجها ومكانة اجتماعية تنافس بها الرجل. والمرأة بوصفها عضوا رئيسيا في تكوين الأسرة والدعم الأساسية لها إلا أنها تعاني الكثير من أشكال التعنيف الممارس عليها والموجه ضدها سواء من قبل: الأب، الزوج، الابن، الأخ، أحد الأقارب، أو أحد الأصدقاء... والتاريخ أكد لنا هذه المعاناة حيث نقل إلينا الكثير من الإحصائيات مثلا عن وأد البنات في الجاهلية وختانهم، وبفضل الرسالة المحمدية استطاعت المرأة أن تتحرر من وحشية معاملتها في ظلمات الجهل فكرمتها وقسمت حقوقها وواجباتها وأوصت بالرفق بها وحرمت تعنيفها. إلا أنه وبسبب تفاعل عوامل عدة الوضع العائلي المتدني، ظروف وضغوط العمل، البطالة، الخلافات العائلية، الفقر، انخفاض دخل الأسرة من جهة وعدد أفراد الأسرة المتزايد من جهة أخرى، ظروف السكن غير الملائم، نقص توعية وتعلم أفراد الأسرة لاتزال عرضة للإهانة، التمييز، الاستغلال، اللاستقرار، الاضطهاد، الضرب، الاختطاف، التعذيب، الاغتصاب، القهر التهريب والتحرش الجنسي، وغيرها كثير من الإكراهات والضغوطات النفسية والجسدية والتي تعد مؤشرا خطيرا لتراجع القيم الإنسانية والدينية والأخلاقية. ومما سبق ذكره نريد تسليط الضوء على هذه الظاهرة من خلال استعراض النقاط التالية:

تحديد مفهوم العنف؛
النظريات المفسرة للعنف؛
النظريات المفسرة لبقاء المرأة في المعاملة المسيئة لها؛
أشكال العنف الموجه ضد المرأة.

1/ تحديد المفاهيم

أ- العنف لغة:

كلمة عنف في اللغة العربية من الجذر (ع، ن، ف) وهو الأخذ بالأمر وقلة الرفق به وهو عنيف أي لم يكن رفيقا به، وعنف به، وعنف عليه أي أخذه بشدة وقسوة¹. - يعنف أي ينتهك، يؤذي ويغتصب². - جاء في قاموس علم الاجتماع أن العنف يعني الضرب، الحبس، الإعدام³. - جاء في معجم "لسان العرب" عنف الشيء أخذه بشدة، وأعنف الشيء تركه والتعنيف: الترويع والتخويف واللوم⁴.

يتضح من خلال هذه التعريفات اللغوية أن العنف كلمة لها علاقة بكل معاني الأذى، الإعتداء، الاغتصاب، الشدة، الإكراه، وهو في جميع الحالات مضاد للرفق أي أن تكون عنيفا يعني أن لا تكون رفيقا في كل سلوكياتك.

- في اللغة الفرنسية كلمة عنف "LA VIOLENCE" يعود أصلها إلى الكلمة اللاتينية "VIOLENT" ومعناها يشير إلى: الغضب، الشراسة، الجموح، الصعوبة في الترويض⁵.

ويشير مصطلح العنف أيضا في اللغة الفرنسية إلى الاستخدام الغير مشروع للقوة المادية بأساليب متعددة لإلحاق الأذى بالآخرين وإلحاق الضرر بالمتلكات العامة والخاصة⁶ "VIOLARE" في اللغة الفرنسية دائما يشير الى

ب- العنف اصطلاحا:

من خلال التعاريف اللغوية لمصطلح العنف نجد أنه مرتبط بعدة مفاهيم كالإيذاء الإهمال، الاعتداء، الجريمة، القسوة، الأخذ بشدة... ويعود ذلك إلى تعدد إشكالاته في مجالات مختلفة تبعا لوجهات نظر الباحثين والدارسين ومنها ما يلي:

* يرى السيد كامل الشربيني أن العنف مرادف للشدة والقسوة، والعنيف هو القوي الذي تشتد ثورته بازدياد الموانع التي تعترض سبيله، والرجل العنيف هو الذي لا توجد في معاملاته أية رقة أو رحمة أو شفقة ويوافق في الرأي السيد فرج عبد القادر طه الذي بدوره يؤكد أن العنف سلوك كله قسوة وقهر وإكراه وهو سلوك بعيد كل البعد عن معاني التحضر والمروءة⁷.

* ويرى مصطفى حجازي أن العنف هو لغة التخاطب الأخيرة فحين يعجز الفرد عن إيصال رأيه بوسائل الحوار المتاحة والمسموحة يواجه الفشل حينئذ بأسلوب القوة⁸.

* ويعرفه بدوي أنه استخدام الضغط والقوة استخداما غير جائز ومناف للإنسانية وكل التشريعات الوضعية والدينية من شأنه التأثير سلبا على إرادة الفرد⁹.

2- المرأة:

هي الأنثى البالغة وهي نصف المجتمع والدعامة الأساسية لتكوين الأسرة وربة البيت، وسكن الزوج فهي الأم، البنت، الأخت والزوجة.

3- العنف الأسري:

يرتبط مفهوم العنف ضد المرأة بالعنف الأسري وهو العنف الذي يحدث بين أفراد الأسرة الواحدة داخل المنزل وتظهر صورته في إلحاق الأذى بأحد الزوجين أو كليهما أو بالأبناء.

ويشير مفهوم العنف الأسري حسب حركة التحرر النسائية إلى السلوك اللامشروع حيث تستخدم فيه القوة مباشرة لإلحاق الأذى الجسدي بصورة خاصة ويكون هذا العنف أو الاعتداء موجه ضد أحد أفراد الأسرة الواحدة سواء كانت وجهته من الآباء نحو الأبناء أو من الأبناء نحو الآباء أو عنف يقع بين الزوجين¹⁰.

ويعد العنف الأسري من أخطر الظواهر الاجتماعية وأكثرها ضررا خاصة إذا كان موجها ضد المرأة لما له من آثار بالغة الخطورة على المرأة الطفل والأسرة وما يمكن تأكيده من الواقع المعاش هو تلك الممارسات العنيفة وبشتى وأبشع الوسائل والطرق التي يمارسها الزوج ضد زوجته.

4 مفهوم الأسرة:

- الأسرة لغة: هي أهل الرجل أو أهل المرأة¹¹.

- اصطلاحا: فقد عرفت كما يلي:

* كل فرد من بني البشر في أي زمان ومكان قد ولد وتربى في أسرة تتكون في مجموعها من ثلاثة أفراد على الأقل هم شخصين بالغين الأب والأم وطفلها...¹²

* الأسرة هي الوحدة الأساسية في التنظيم الاجتماعي، ومؤسسة من المؤسسات الاجتماعية ذات الأهمية الكبرى ففيها نبدأ حياتنا الأولى وتتعود عليها، فيها نضع أولى خبراتنا وفيها تشكل شخصيتنا وهي مصدر الأخلاق والدعامة الأولى لضبط السلوك ويلقى فيها الكبار والصغار مصدر الأُنس والرفاه والرخاء¹³.

* هي الاتحاد القائم بين الرجل والمرأة بصورة يقرها المجتمع فالزواج مرحلة وشرط ضروري لقيام الأسرة وهي نتاج التفاعل الزوجي¹⁴.
 * ليس من الضروري أن تتكون الأسرة من ذكر وأنثى وأطفالها، فقد تتألف من احد الابوين أو قد تكون من زوجين دون أطفال¹⁵.

ونقصد بالأسرة في هذه الدراسة كل وحدة اجتماعية تتكون من الزوج، الزوجة والأبناء (ابن أو أكثر أو دون أبناء) بحيث تربط الزوجان علاقة شرعية ويعيش جميع أعضاء الأسرة الواحدة معا في منزل واحد.

2/ النظريات المفسرة للعنف

* النظرية الاجتماعية:

وتشمل البنائية الوظيفية، وهي تتركز في تحليلها على العنف الأسري سواء بين الآباء والأبناء أو بين الزوجين وهذا ما سمته بالوحدات الصغرى، أما حل هذه المشكلة عند الوظيفيين فيكمن في زيادة التكامل الاجتماعي وتعزيز الوحدة الأسرية والذي يؤدي إلى التقليل من شدة العنف، فكلما زاد ارتباط الوحدات الصغرى داخل الأسرة (الآباء، الأبناء) أدى ذلك إلى تقليص من احتمال وقوع العنف، أما عن أسباب هذه الظاهرة فيرى أصحاب هذا الاتجاه أن العنف الأسري هو نتيجة حتمية لجملة من الظروف الاقتصادية والاجتماعية وقد مثلوها في الوضع العائلي المتدني، ظروف وضغوط العمل، البطالة، الخلافات العائلية، الفقر، انخفاض دخل الأسرة من جهة وعدد أفراد الأسرة المتزايد من جهة أخرى، ظروف السكن غير الملائم، نقص توعية وتعلم أفراد الأسرة، كل هذه العوامل مجتمعة يؤكد أصحاب النظرية البنائية. الوظيفية أنها تؤدي حتما إلى زيادة التوتر داخل الأسرة خاصة بين الزوجين، هذا ما يشعل فتيل العنف الأسري وبشكل يومي في كثير من الأحيان⁽¹⁶⁾.

* نظرية التبادل الاجتماعي:

تشير هذه النظرية إلى أن سلوك الفرد يتشكل من خلال الثواب والعقاب من الآخرين وبصفة خاصة فإن المرأة المعنفة قد تحاول تجنب تعنيفها (عقابها) من طرف الزوج من خلال الامتثال لأوامره وتنفيذ رغباته والخضوع له بصورة مطلقة، فإذا حاولت إحداث خلل في استجابتها لمتطلباته وهو في المقابل يدفع تكاليف أكثر مما يجنيه من علاقته الزوجية هذا سيرفع من احتمال تعرض المرأة للإساءة والعنف من قبل الزوج.⁽¹⁷⁾

* نظرية ثقافة العنف:

يؤكد أصحاب هذه النظرية أن العنف هو المرأة العاكسة لمجموع المعايير والقيم الثقافية القائمة في المجتمع والتي تنتقل عبر الأجيال عن طريق التنشئة الاجتماعية من خلال مؤسساتها (الأسرة، المدرسة، وسائل

الإعلام،...) فالعنف حسب هذه النظرية هو سلوك متعلم، حيث يتعلم أعضاء الأسرة أن العنف ضد الزوجة والأطفال هو سلوك مقبول أسريا واجتماعيا، وما يزيد من وتيرته هو مشاهدة أفراد الأسرة للبرامج التلفزيونية العنيفة، التي من خلالها يكتسب الأفراد أساليب متطورة في ممارسة أشكال مختلفة من العنف.⁽¹⁸⁾

* المدخل النفسي الاجتماعي لتفسير العنف:

تذهب نظرية الاضطراب العقلي من خلال استخدام بعض الآليات المنهجية والقياس إلى أن أنماط معينة من الناس توجه عنفها ضد الآخرين خاصة تجاه المرأة وهؤلاء (أي الأنماط من الناس) يتميزون بسمات شخصية خاصة عن الآخرين من حيث المهارات، الحالة المزاجية والشخصية، تاريخ وظروف الحياة وكذلك من الناحية الفسيولوجية، ومن المعتقد أن ضرب الزوجات أمر نادر الحدوث ولا يوجد إلا بين الأفراد المنحرفين أو الذين يعانون من مشكلات عاطفية عادة أو المدمنين على تعاطي المخدرات والكحول، وهنا نجد أن الأطباء في بداية أبحاثهم اهتموا بدراسة سمات الشخصية المعنفة المنهكة (الضحية) أكثر من دراسة المعنف نفسه (المعتدي)، ولعل ذلك يعود إلى صعوبة أو استحالة الحصول على عينة فعلية من الرجال الذين يمارسون العنف ضد زوجاتهم، وإن تم ذلك فإن أغلب هؤلاء الرجال سيرفضون الاعتراف بسلوكهم العنيف.⁽¹⁹⁾

* نظرية التعلم الاجتماعي:

تعتبر نظرية التعلم الاجتماعي من أهم النظريات البيولوجية في تفسير عملية تعلم سلوك العنف الأسري خاصة من خلال التقليد والتمثيل، ولعل الفضل في الاهتمام بموضوع التعلم أي تعلم سلوك العنف يعود إلى Baudura الذي قدم خلاصة أبحاثه في كتاب يحمل عنوان "التعلم الاجتماعي من خلال المحاكاة"، ويشير Baudura في كتابه أن معظم سلوك الإنسان هو سلوك متعلم ومكتسب، ويتم ذلك من خلال القوة أو التقليد، حيث يتسنى للفرد ومن خلال تتبعه لسلوك الآخرين أن يكتسب سلوكات جديدة ويتعلم كيفية القيام بها، وأكد Baudura أن المصادر الرئيسية في اكتساب السلوك وتعلمه هي: تأثير الأسرة، والاقتراء (التقليد) الشخصي الذي يشكل المثل الأعلى والنموذج الرمزي للفرد.²⁰

إذن فهذا النموذج يؤكد أن العنف هو سلوك متعلم ومكتسب حيث يتعلمه الفرد من خلال الخبرة أو من ملاحظته لسلوك الآخرين وأن هناك علاقة وثيقة بين العنف الأسري والعنف ضد المرأة، هذا يعني أننا نتعلم الكثير من الأنماط السلوكية من خلال الملاحظة والتقليد والاقتراء بسلوك

الآخرين، إذن فسلوك العنف متعلم شأنه شأن بقية أنواع السلوك الأخرى المكتسبة وهذا التعلم يعود الفضل فيه لدور الأسرة.

* نظرية الإحباط والعدوان:

ملخص هذه النظرية أن هو الإنسان بطبعه ليس عدوانيا، وإنما يتقجر العدوان بداخله كلما تعرض للإحباط فيمنع هذا الإنسان من تحقيق رغباته الشخصية⁽²¹⁾، إذن فالعنف داخل المنزل هو نتيجة لجملة من الاحباطات التي تنتج بدورها عن الحرمان من تحقيق الرغبات الفردية، وهذا الحرمان يؤدي إلى تعريض الزوجة إلى إيذاء جسدي قاس من طرف زوجها الذي يفتقر إلى المدخول المادي لتلبية مطالب أسرته، فإذا فشل الزوج في توفير احتياجات الأسرة سيشعر بالعجز والإحباط ومن ثم لا يجد منفذا يعبر فيه عن إحباطه سوى استخدام العنف داخل المنزل وضد زوجته تحديدا، خاصة إذا كان في بيئة اجتماعية تنتشر فيها ثقافة العنف.

* نظرية الضبط الاجتماعي:

افترضت هذه النظرية أن العنف ما هو إلا غريزة فطرية إنسانية، تظهر بشكل واضح ومباشر لتعبر عن نفسها في وسط مجتمع لم يتمكن من وضع القيود اللازمة على أفرادها لتحكم سلوكهم، فكل عضو في المجتمع لا يتم ضبط سلوكه، عن طريق مختلف مؤسسات التنشئة الاجتماعية كالأسرة، المدرسة، وسائل الإعلام والمؤسسات الدينية وغيرها من الجماعات الأولية والثانوية التي تلعب دورا في ضبط سلوكه وكذا وسائل الضبط الاجتماعي الرسمية، فسيظهر سلوك العنف لديه وينتشر داخل الجماعات إلى أن يعم المجتمع بأكمله.⁽²²⁾

ولضبط سلوك أفراد المجتمع من الذكور والإناث وضعت ثلاثة

ضوابط رئيسية هي:

- 1- **الضبط المباشر:** وهو أسلوب خارجي يعتمد على مجموعة الضوابط الخارجية التي توضع لتحكم سلوك الفرد، ومنها القوانين الرسمية التي تحرم كل أنواع العنف الصادر من الجنسين وتعاقب كل من أخل بها.
- 2- **الضبط غير المباشر:** وهو أسلوب معنوي يعتمد أساسا على الجانب الوجداني والارتباط بالوالدين وبأشخاص لا صلة لهم بالعنف، وتؤكد كل الدراسات بهذا الخصوص أن المؤسسات الأسرية تمثل أهم مصادر الضبط سواء كان مباشرا أو غير مباشر.
- 3- **الضبط الذاتي:** يتعلق بالضمير والشعور الداخلي للفرد، فضمير الإنسان له دور في توجيه سلوك أي عضو من الأسرة والمجتمع، فإحساس الفرد وشعوره بارتكاب أي سلوك عنيف هو أمر غير مقبول اجتماعيا وقانونيا،

هذا سيحول بينه وبين ارتكابه، ويصبح بذلك الضبط الذاتي أهم من أي قانون وضبط آخر.⁽²³⁾

* مقارنة ابن خلدون:

جاء ابن خلدون بمفهوم العصبية وهو جوهر نظريته الاجتماعية والتي تتضمن صلة الدم وعلاقات القرابة الموجودة في النظام الاجتماعي العام للمجتمع البدوي، فالعصبية عند ابن خلدون هي رابطة اجتماعية سيكولوجية، شعورية ولا شعورية تربط أفراد جماعة قائمة على القرابة، وتبرز العصبية عندما يظهر خطر يهدد تماسك أفراد تلك الجماعة⁽²⁴⁾، وفي مقام آخر ربط ابن خلدون بين العصبية والعدوان كسلوك عنيف حيث يقول أن العصبية تعني قوة المواجهة، هذه القوة لا تظهر إلا إذا كان هناك خطر يهدد المصلحة الجماعية⁽²⁵⁾. إن العدوان كفعل عنيف حسب ابن خلدون ليس عدواناً دموياً بل هو صراع من أجل البقاء.

* **المقاربة الأنثروبولوجية:** العنف عند الأنثروبولوجيين هو ظاهرة ثقافية، وإن تحديد العنف يختلف حسب المجتمعات وحسب المراحل التاريخية لتطورها، إذن فالعامل التاريخي والثقافي لهما الدور الفعال في تحديد مفهوم العنف، فهناك مجتمعات تقبل في ثقافتها ما نسميه نحن عنفاً، وتراه سلوكاً عقابياً تهذيبياً لا أكثر، وهذا حسب نسق قيمها ومعاييرها المتأصلة تاريخياً وثقافياً.

وفي المقابل نجد مجتمعات تثمن السلم وترى في العنف سلوكاً غير متأصل بتاريخها وثقافتها، هذا ما تؤكدته دراسة Margaret mead⁽²⁶⁾ عن خصائص Les arapesh و Les Mundugumors، فالمجتمع الأول حسب ما بينته Mead هو مجتمع يميل إلى السلم ويرى أن الفحولة والرجولة لا تكمن في القوة والقتل والضرب فالمثل الأعلى عندهم هو الرجل السلمي الهادئ الحساس الذي لا يحارب ولا ينظم غزوات للنهب والاستيلاء وكذا لا توجد لديه غيرة ولا حسد، على عكس Les arapesh نجد Les Mundugumors يحتكمون إلى العنف وهم يعتقدون أن المروءة والفحولة تكمن في القتل والنهب والثأر والرجل المثالي عندهم هو الرجل الغيور الحسود العنيف والعدواني المتوحش.

* النموذج الموقف البيئي:

تركز هذه المقاربة على الوضع الاقتصادي والاجتماعي للأسرة وكل أنواع الضغوط كالطبقة الاجتماعية التي ينتمي إليها الفرد، مستوى الدخل السري، شكل العلاقات الأسرية، الوضعية المهنية، البيئة الجغرافية، الظروف

السكنية وغيرها من الأوضاع المحيطة بالأسرة، فكثير من الدراسات تشير إلى أن هناك علاقة طردية بين المستوى الاقتصادي والاجتماعي والوضع البيئي واشكال مختلفة ومتعددة من العنف الأسري، حيث أن الأسر التي تعاني معدلات بطالة مرتفعة ومستوى دخل منخفض وتعليم متدني إلى جانب البيئة الجغرافية كلها تشكل مؤشرات هامة تسهم بشكل كبير وخطير في حدوث العنف داخل المنزل.

وفي هذا المجال أوضحت نتائج عدة دراسات أن هناك علاقة ترابطية طردية بين العنف الموجه ضد المرأة والزواج البطال، في حين الأزواج الذين يتسمون بمستوى تعليمي جيد ويملكون دخلاً كافٍ لاحتياجات الأسرة يكونون أزواجاً غير سيئين وغير معتمدين على زوجاتهم.⁽²⁷⁾ هذا الكلام لا ينفي أن العنف ضد المرأة يحدث في جميع الطبقات الاجتماعية ذات المستويات الاجتماعية، الاقتصادية والتعليمية العالية.

3/ النظريات المفسرة لبقاء المرأة في المعاملة السيئة (العنف):

في هذه النقطة نلقي الضوء على أهم النظريات التي تفسر الأسباب التي تجعل بعض النساء يتقين في علاقة زوجية عنيفة، وهذا بعد أن تطرقنا إلى أهم النظريات التي فسرت لنا أسباب تعنيف الأزواج لزوجاتهم.

1- نظرية دورة العنف:⁽²⁸⁾

أجرت Walker Lenore عدة دراسات على عينة مكونة من 400 امرأة متزوجة مضروبة، ووجدت أن أغلبهن يفضلن البقاء في العلاقة الزوجية العنيفة وأرجعت هذا لاضطرابات نفسية وقد ترجمت نتائج دراستها إلى نظرية دورة العنف Cycle of violence والتي تفسر السبب الكامن خلف بقاء المرأة تحت إساءة زوجها.

تري Walker أن العنف ضد المرأة يتم عبر ثلاثة مراحل أساسية متباعدة في الزمن والشدة وهي:

- **مرحلة بناء التوتر** تتميز هذه المرحلة بكثير من الجدل والنقاش ما ينشأ عنه توتر بين الطرفين، وقد يرتبط بمشكلات تتعلق إما بالعمل، المال، الأطفال أو غيرها من المشكلات الحياتية، في هذه المرحلة تحاول الزوجة تجنب توتر الطرف الآخر من خلال عملية التهدئة إلا أن التوتر قد يصل إلى ما لا يحتمل ويشد الضغط على الزوج فلا يجد نفسه إلا وقد وجه لها إساءات لفظية أو جسدية.

مرحلة الضرب الحاد: وهي مرحلة الانفجار فيازدياد التوتر وارتفاع شدة الضغوط والغضب، يصبح المعتدي في هذه المرحلة أكثر خطورة من المرحلة السابقة حيث يصر على إبراز بصمات إساءاته وتعنيفه تجاه زوجته،

وهذه الأخيرة تتحمل وتفكر في أنها لا تستطيع أن ترد على سلوكيات الزوج العدائية نحوها وفي الوقت نفسه تحاول انقاء كل كدمة ظاهرة ومسح كل دم نازف ولا تحرك ساكنا.

- **مرحلة شهر العسل:** وهي مرحلة الكمون والهدوء بعد انفجار وثوران الغضب والتوتر، في هذه المرحلة يقدم المعتدي أسفه للضحية ويبرر إساءته لها، كما يحاول جادا إظهار العطف والحب نحوها وإذا لزم الأمر يقدم لها هدية حتى يستعطفها ويكسب رضاها التام عنه، ويعدها بعدم تكرار تعنيفها، فترضى الضحية وتتقبل الأمر وتصدق الوعد بعدم تكرار العنف ولكن لا تلبث أياما أو حتى ساعات وليس شهورا حتى تنتهي مرحلة الاعتذار والهدايا ليبدأ بناء التوتر من جديد وتبدأ معه دورة عنف جديدة.

* نظرية العجز المتعلم

يرجع ظهور المصطلح لأول مرة إلى Seligman الذي أجرى دراساته وتجاربه على الحيوانات وتوصل إلى أن تعرض الحيوانات إلى صدمات مرهقة يؤدي بها إلى الفشل والاستسلام، وتتعلم بأنها لن تتفادى مستقبلا أي نوع من المشكلات أو العقاب التي تجدها في طريقها لأداء مهمة ما.⁽²⁹⁾

أما عند تطبيق الدراسة على الإنسان فنجد أن هذا المفهوم يشير إلى أن ضحايا العنف عندما يجدون أنفسهم في مواقف صعبة لا يستطيعون تغييرها أو السيطرة عليها فإن لهم إيمانا بعدم قدرتهم على المواجهة ويعتقدون بالاستسلام والفشل وعدم الرغبة في إبداء رأي أو سلوك مضاد نتيجة عجزهم الفكري والنفسي أمام الموقف السيء الذي يواجهونه وب تكراره يجدون أنفسهم يكتسبون سلوك العجز والرضوخ، فيقمعون بذلك تقديرهم لذاتهم وقوتهم الدفاعية ويغلقون على أنفسهم في دائرة الاكتئاب والعجز الكلي.

وقد استفادت Walker من أبحاث وتجارب Seligman حيث ترى أن الضرب المتكرر للمرأة يفقدها القدرة الدفاعية على الاستجابة الإيجابية ومن ثم تصبح مستسلمة وعاجزة عن القيام بسلوكات دفاعية، حيث تعتقد أن إصدارها لأي استجابة لن يوصلها إلا لنتيجة واحدة وحتمية وهي تعرضها للعنف، وبعبارة أخرى توضح لنا Walker أن المرأة التي تقبل البقاء والاستمرار مع زوجها في العلاقة العنيفة لاشك في أنها قد تعلمت كيف تستسلم أمام إساءة الزوج، وبالتالي فهي تعاني من العجز المتعلم عكس المرأة التي ترفض الخضوع والإذعان للضرب والإهانة.⁽³⁰⁾

*** نظرية الرباط الصدمي:**

توصل إلى هذه النظرية كل من Panter و Dutton وفيها محاولة لإيجاد تفسير آخر لبقاء الضحية مع الزوج العنيف؛ ولقد استخدم أصحاب هذه النظرية هذا المصطلح لوصف الروابط الانفعالية القوية بين المعتدي والضحية؛ وأكدت النظرية أنه عندما يكون هناك ملل وعدم توازن في القوة بين الزوجين فإن الطرف الأقل قوة يشعر بالضعف في تقدير الذات وبالعجز والسلبية ويعتقد أنه غير قادر على أن يحمي نفسه ومن ثم يلجأ إلى طرف أكثر قوة يوكل إليه مهمة حمايته ومن هنا ينشأ ذلك الرباط الوجداني بين المعتدي والضحية.⁽³¹⁾

نفهم من هذا أن الزوجة الخاضعة والمذعنة لإساءة الزوج لفظيا أو جسميا من فترة لأخرى تجد نفسها تبقى في العلاقة العنيفة نتيجة شعورها بالضعف وعدم القدرة على الدفاع والحاجة لهذا الطرف المعتدي لحمايتها حسب رأيها لأنه أكثر قوة منها، ولعل ما أوقعها في فخ أو مصيدة التعنيف تلك الفترات الفاصلة بين فترة تعنيف وأخرى أين تهدأ الأحداث العنيفة ويتصف الزوج بالهدوء والسلوكات السوية، ويعمل إلى توفير ظروف هادئة تخفي الفترات المؤلمة، هذا ما يؤكد للمرأة الضحية أنها بحاجة إلى مثل هذا الزوج وهذا الأخير تتعزز مواقفه إثر ضعف وخضوع زوجته فيصدمها بعملية تعنيفية أخرى تنسيها الفترة الهادئة، وهكذا تبقى المرأة في العلاقة المسيئة مع زوجها.

*** نظرية إثبات الذات:**

تشير هذه النظرية حسب Swann إلى أن المرأة التي تبقى في علاقة عنيفة مع زوجها تسعى إلى تقييم ذاتها بصورة سلبية وتصبح غير مبالية بما يقلق زوجها عن تصرفاتها، فالزوج المسيء الذي يصف زوجته بالتافهة القبيحة والغبية يجعل الضحية تتقبل هذه الصورة السلبية، والسبب يعود إلى أنها قيمت نفسها بشكل سلبي نتيجة ردود أفعال الزوج نحوها.⁽³²⁾ وعليه نقول أنه على المرأة أن تعطي تقييما إيجابيا لذاتها حتى تتمكن من استئثاره ردود فعل حسنة من زوجها وتجنب نفسها الوقوع في دائرة الاكتئاب والعجز وضعف تقدير الذات حتى لا تتعلم أنها مخلوق ضعيف غير قادر على حماية نفسه بأبسط الوسائل فتلجأ إلى طلب الحماية ممن هو أقوى منها فتصطدم بسلوك عنيف يوجه ضدها، ومن ثم لا تجد نفسها إلا خاضعة لا حول لها ولا قوة آلمة ومؤمنة بوجود فترات هدوء تنسيها التعنيف والإساءة.

بعض الإحصائيات عن العنف ضد المرأة في العالم:

إن خطورة انتشار ظاهرة العنف ضد المرأة في انحاء واسعة من العالم والجزائر دون أدنى شك أكدته دراسات نظرية وميدانية دفعت بنا الى التطرق الى هذه النقطة والتي توضح خطورة تسارع الظاهرة في الانتشار لما لها من آثار وخيمة على المرأة والطفل والاسرة والمجتمع. ونحاول أن نقدم أرقام وإحصائيات عن حقيقة هذه الظاهرة في بعض مناطق العالم وهي: أمريكا، ألمانيا، فرنسا، إنجلترا، مصر، الأردن، فلسطين¹ و في الأخير سنتعرض لبعض إحصائيات وحالات العنف بالجزائر .

1- **أمريكا** : أجريت دراسة عام 1987 خاصة بالنساء المعنفات في البلد فوجد أن 91% من المجتمع الأمريكي معنفات منهن 89% معنفات من طرف أزواجهن، 17% من النساء ضحايا ضرب الأزواج قد دخلن المستشفى جراء الآثار الجسمية الخطيرة للتعنيف.

و في تحديد لأشكال العنف في أمريكا أن أغلبه عنف جسدي مادي ، أي يستهدف الحاق الضرر بجسم المرأة كاللجوء الى الضرب المبرح - والركل، الضرب بآلات حديدية حادة كالقضبان والسكين، الحرق والموت رميا بالرصاص .

و توصلت الدراسة الى أن أسباب العنف بالمجتمع الأمريكي يعود خاصة الى تدني المستوى التعليمي البطالة وانخفاض المستوى المعيشي، الادمان على الكحول وتعاطي المخدرات .

و في دراسة حديثة توصلت الى أن 6 ملايين امرأة تضرب في المنزل وأن كل 15 ثانية تعرض امرأة أمريكية للضرب .

2- **ألمانيا** : أكدت البحوث والدراسات التي أجريت بالمجتمع الألماني أن 100 ألف امرأة تتعرض للعنف الجسدي والنفسي سويا وتعود الأسباب الى: البطالة، الديون، الادمان على الكحول والمخدرات الغير الشديدة والغير المبررة للزوج .

3- **فرنسا** : تتعرض في فرنسا 2 مليون امرأة سنويا للضرب المبرح والمخلف لعاهة جسمية 92,7% من ضرب النساء يكون بالمدن الحضرية 60% منها ما يقع بالليل، ويتراوح عمر الزوجات الأكثر تعنيفا من قبل

¹ - مدبحة أحمد عبادة وأبو دوح : العنف ضد المرأة، دراسات ميدانية حول العنف الجسدي والعنف الجنسي / دار الفجر للنشر والتوزيع، القاهرة، 2008، ص 41-45

الأزواج بين 25-35 سنة ويتعرضن دائماً للضرب والتهديد والاهانة ويرجعون السبب في ذلك الى البطالة والادمان .

4- **انجلترا** : تتعرض 59% من النساء الى العنف بمختلف أشكاله لأكثر من ثلاثة سنوات على التوالي هذا ما يدفع بهن الى ترك بيوتهن والهرب بعيدا عن تعنيف الزوج .

44% تعرضن لإيذاء الوجه والجسم

27% تعرضن للرفس والنطح

15% تعرضن للدفع على أدوات وآلات جارحة وغير جارحة

5% ضربن بأدوات حديدية

2% تعرضن لمحاولة الخنق

وتقدر نسبة النساء اللواتي هجرن بيوتهن الى الأبد بسبب العنف الذي تعرض له أطفالهن ويرجع السبب الى البطالة وعدم القدرة على توفير احتياجات الأسرة والادمان .

من خلال عرض هذه الاحصائيات لبعض الدول الغربية يمكن أن نقول أن نسب العنف بها مرتفعة خاصة النساء المعنفات من طرف أزواجهن بسبب البطالة، الادمان، الغيرة، الديون، تدني المستوى التعليمي والمعيشي فرغم التقدم العلمي والتكنولوجي في هذه الدول وتطور المستوى الاقتصادي الاجتماعي تبقى مجتمعات عاجزة على معالجة المشكلات — الاجتماعية، ولعل انتشار الأشكال الخطيرة من العنف بها يعكس حقيقة الحياة الاجتماعية المزرية التي تعاني منها

المرأة والطفل معا ،هذا ما ينشأ عنه ظروف أسرية غير ملائمة لتكوين أشخاص طبيعيين ومفيعين اجتماعيا .

وعلى غرار المجتمعات الغربية، فالعربية تعاني كذلك من نسب عالية لظاهرة العنف بشكل يوجب التوقف عنده ودراسته .

5- **مصر** : ان التاريخ يسرد لنا كثيرا من الحقائق المخيفة عن العنف ضد المرأة من العصر الجاهلي حتى هذا الوقت خاصة ظاهرة ختان الاناث التي اعتبرها المحللون الاجتماعيون عنف جسديا يخلف أضرارا جسمية ونفسية على المرأة .

فكل الدراسات التي أجرت بكل المناطق المصرية رصدت أشكال كثيرة من العنف منها : الحرق، القتل بالرصاص، الطعن بالسكين، الذبح، وضع السم في الماء أو الطعام، الضرب المبرح، الدهس بجرار زراعي، الخطف والاغتصاب، التعذيب والتهديد .

و قد أرجعت الأسباب الى :

الأسباب الاقتصادية خاصة البطالة بنسبة 45,6%

الأسباب الاجتماعية والثقافية، تدني المستوى الثقافي والتعليمي .

التأثير السلبي للأعراف والعادات والتقاليد ومكان الإقامة .

6- الأردن : أجريت دراسة عام 2001 على نساء الأردن فتوصلت الى وجود 995 امرأة معنفة موزعين حسب النسب التالية :

62,3% تعرضت للضرب المبرح

56% عنف اجتماعي

[34% حرمان المرأة من العمل، 22% حرمان من تحديد النسل]

53% عنف لفظي، 51% عنف صحي، 48% عنف جنسي .

وترجع أسباب هذا العنف إلى الفروق التعليمية، التباعد في العمر، مكان الإقامة .

وفي دراسة أخرى لطلبة جامعيين حول تحديد وجود العنف في أسرهم توصلت إلى أن نسبة 86% طالب أكدوا وجود العنف بأسرهم وحسب الدراسة .

كانت نسبة 75% تعاني التهديد والارهاب ،ونسبة 40% تعاني الايذاء النفسي.

7- فلسطين :تتعرض المرأة الفلسطينية بوجه عام للعنف :

90,3% عنف اجتماعي، 88,4% عنف نفسي

37,3% عنف جسدي، 35,9% عنف جسدي

وهذا كله سبب الاحتلال الصهيوني

أما الزوجات فتتعرض للعنف بالصورة التالية :

94% تتعرض للعنف اللفظي والعاطفي والنفسي

39% يتعرضن للضرب والايذاء الجسدي من أزواجهن

66% من الشباب يسيئون لخطيباتهم لفظيا ونفسيا

3% منهم تعرضوا لهن بالضرب

وأرجعت الدراسات في هذا الإطار الأسباب الكامنة وراء كل هذا العنف إلى الظروف الاجتماعية والاقتصادية والأمنية التي تعيشها البلاد³³

خاتمة

إن جميع الأوضاع المرتبطة بحياة الأفراد والأسر لها تأثير كبير في بناء شخصية الإنسان وتزويده بما يحتاجه من أساليب سلوكية تمكنه من التكيف مع المحيط الذي ينتمي إليه، فأى وسط اجتماعي يتسم بالاضطراب والتوتر الدائم سيؤدي حتما إلى تكوين فرد عنيف، فمثلا: تفاعل عوامل كالصراع الأسري، الدخل المادي المتدني، الفرق في المستوى التعليمي، البيئة الجغرافية «ريف، مدينة»، العادات، التقاليد، القيم والمعايير الاجتماعية الصارمة، اللغة والثقافة المتداولة بين أفراد الأسرة، الاختلاف في الطبقة الاجتماعية والجانب العقائدي والأخلاقي كلها عوامل من شأنها التأثير بقوة على الطفل الناشئ، وبالتالي تغرس فيه سلوك العنف ليمارسه في مراحل قادمة من عمره.

ومن خلال النقاط التي تم التعرض إليها نستنتج مايلي :

1- إن الظروف الاقتصادية، الاجتماعية، الثقافية، السياسية، المعرفية، النفسية وأخرى تسهم بشكل واضح في حدوث سلوك عنيف تجاه المرأة من طرف زوجها.

2- العنف ضد المرأة مكتسب ومتعلم، وقد يحدث نتيجة ضغوط الظروف المحيطة بالوسط الأسري، ومهما تكن خلفيات وقوعه فأغلب الأسر تعاني إحدى الظروف التي تزيد من توتر الزوج والذي لا يجد منفذا سوى صب جزء من غضبه أو كله على زوجته وأمام أطفالها الذين وبطريقة مباشرة قد يتعلمون سلوك العنف وفي مراحل متقدمة من عمرهم سيسلكون الأسلوب ذاته.

3- تقبل المرأة البقاء في العلاقة العنيفة مع زوجها لأنها تشكو العجز في الدفاع عن نفسها وتعطي تقديرا ضعيفا وسلبيا لذاتها وتعتقد بأنها في حاجة دائما لمن هو أقوى منها لحمايتها فنفضل التعلق بالمعتدي عليها أملا في فترة أمنة وهادئة من حين لآخر.

الهوامش والإحالات::

- ¹ - عبد القادر الرازي: المعجم العربي، بيروت للطباعة والنشر، بيروت، 1987، ص192.
- ² - أنطوان إلياس: القاموس العصري، المكتبة الجامعية، القاهرة 1979، ص777.
- ³ - سعد الغربي: انحراف الصغار، دار المعارف، القاهرة 1960، ص111.
- ⁴ - أبي الفضل جمال الدين محمد بن مكرم ابن منظور الإفريقي المصري: لسان العرب، دار صادر، بيروت، المجدد التاسع، 1968، ص258.
- ⁵ - Grand dictionnaire de la langue française, Larousse, volz, 1989, p6490.
- ⁶ - Michel le gran : le grand robert, paris.E.D , robert, paris, 1997, p742.
- ⁷ - رشدي شحاتة أبو زيد: العنف ضد المرأة، ط1، دار الوفاء للطباعة والتنشئة، الإسكندرية، 2008، ص19.
- ⁸ - مصطفى حجازي: مدخل إلى سيكولوجية الإنسان المقهور، معهد الإنماء العربي، بيروت، 1987، ص17.
- ⁹ - أحمد زكي بدوي: معجم مصطلحات العلوم الاجتماعية، مكتبة لبنان، بيروت، 1982، ص13.
- ¹⁰ - جلال إسماعيل حلمي: العنف الأسري، دار قباء، القاهرة، 1994، ص18.
- ¹¹ - علي هادية وآخرون: قاموس الجديد للطلاب، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، ط1، 1979، ص54.
- ¹² - سناء الخولي: الأسرة والحياة العائلية، دار النهضة العربية، بيروت، 1985، ص31.
- ¹³ - عبد الهادي الجوهري: أصول علم الاجتماع، مكتبة النهضة الشرق، القاهرة، 1997، ص27.
- ¹⁴ - محمد عاطف غيث، دراسات في علم الاجتماع القروي، دار النهضة العربية، بيروت، ص196.
- ¹⁵ - غريب سيد أحمد وآخرون: دراسات في علم الاجتماع العائلي، دار المعرفة الجامعية، مصر، 1974، ص18.
- ¹⁶ - إجلال إسماعيل حلمي: العنف الأسري، دار قباء، القاهرة، 1999، ص27.
- ¹⁷ - طه عبد العظيم حسين: سيكولوجية العنف العائلي والمدرسي، دار الجامعة الجديدة، الإسكندرية، 2007، ص114.
- ¹⁸ - المرجع نفسه، ص115.
- ¹⁹ - علي السمري، العنف في الأسرة: تأديب مشروع أم انتهاك محذور، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، 2001، صص117-118.
- ²⁰ - المرجع نفسه
- ²¹ - Robert Castel: L'ordre psychiatrique, ED, minuit, Paris 1976, p.33.
- ²² - سامية الخشاب: النظرية الاجتماعية ودراسة الأسرة، دار المعارف، القاهرة، 1982، ص152.
- ²³ - نادية رميس: المؤشرات الخاصة بالمرأة في مصر، المجلس القومي للمرأة، القاهرة، 2002، ص33.
- ²⁴ - محمد عابد الجابري: فكر ابن خلدون: العصبية والدولة، ط3، دار الطليعة، بيروت، لبنان، 1962، ص258.
- ²⁵ - نفس المرجع، ص269.
- ²⁶ - Margaret Mead : "Mœurs et sexualité en Océanie", Paris, 1963, p.25.
- ²⁷ - Walker : Psychology and domestic violence around the world, American psychologist, 1999, p.21-29.
- ²⁸ - Walker Lenore : The battered women, 1979, USA, Harper and Row, publishers, p.54.
- ²⁹ - طه عبد العظيم حسين: سيكولوجية العنف العائلي والمدرسي، مرجع سابق، ص132.
- ³⁰ - Walker : OP.cit, p.61.
- ³¹ - Dutton and Panter : Battered women syndrome, effects of severity and intermittency of abuse, American journal of orthopsychiatry 03, 1993, p.612.
- ³² - Swann : Why people self-verify?, journal of personality and social psychology 62, 1992, p.392.
- ³³ - مدبحة أحمد عبادة وأبو دوح : العنف ضد المرأة، دراسات ميدانية حول العنف الجسدي والعنف الجنسي / دار الفجر للنشر والتوزيع، القاهرة، 2008، صص41-45.